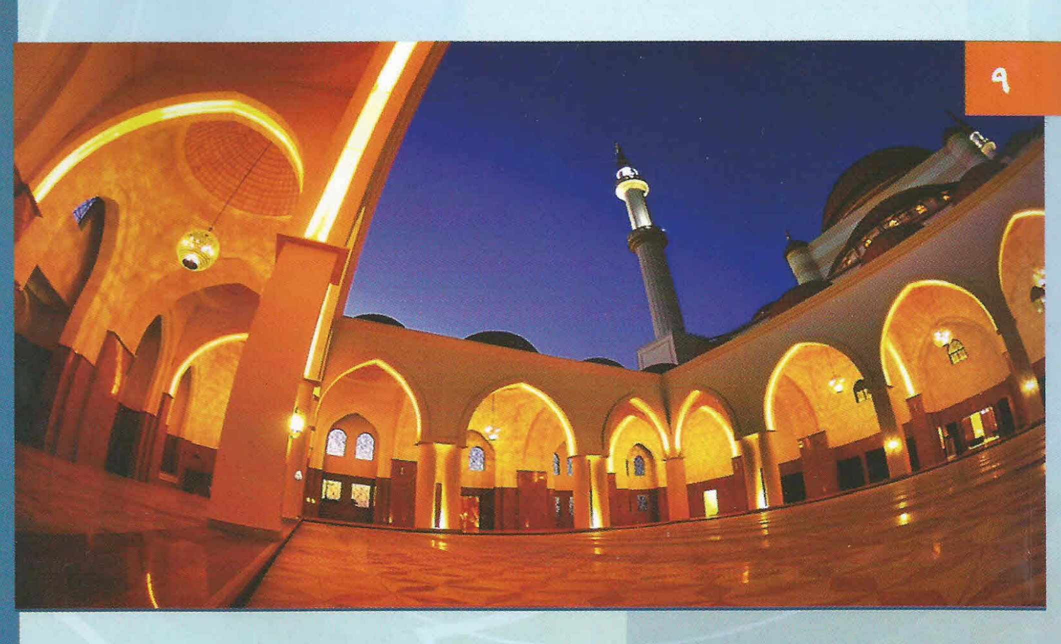
ثوابتنا

أثر العلماء

في تحقيق رسالة المسجد

٩



فضيلة الشيخ

أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل

أستاذ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أثر العلماء

في تحقيق رسالة المسجد

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العقل، ناصر عبدالكريم

أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد. / ناصر عبدالكريم العقل.-

الرياض، ١٤٣٢هـ

٤٦ ص ؛ ١٤×٢٠ سم

ردمك: ١-٠٢-٨٠٩٧-٦٠٣-٩٧٨

١. المساجد ٢-العلماء أ. العنوان

ديوي ٢١٥ ١٤٣٢/٧٠٧٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٧٠٧٥هـ

ردمك: ١-٠٢-٨٠٩٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم
التاريخ :
المشفوعات :
الموضوع

الحمد لله وبعد: فقد زف إلينا الشيخ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل بشرى قيام مركز الوسطية للاستشارات التربوية والتعليمية الذي نرجو أن يكون مركزاً علمياً تربوياً يشارك في نشر الدعوة والخير على منهج الكتاب والسنة فنرجو من كافة المسلمين دعم هذا المركز بما يضمن أهدافه ليواصل عطاءه المثمر - إن شاء الله.

عملاً بقول الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) فالمسلمون بحاجة إلى قيام مثل هذا المركز خصوصاً في هذا الوقت الذي تكالب فيه أعداء الإسلام على الإثم والعدوان والصد عن سبيل الله (ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) والله لا يخلف وعده وأخيراً فإننا ننتظر من هذا المركز تحقيق ما أسس من أجله ونسأل الله أن يوفق القائمين عليه لما فيه الخير والصلاح للإسلام والمسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
[توقيع]
١١/٦/١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في كتابه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[١].

والقائل سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٢].

والقائل ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

والقائل سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٨.

(٢) سورة المجادلة آية: ١١.

(٣) سورة الزمر آية: ٩.

(٤) سورة التوبة آية: ١٨.

والقائل سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [1] الآية.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، القائل: **(العلماء هم ورثة الأنبياء)** [2]، القائلﷺ: **(أحب البلاد إلى الله مساجدها)** [3].

أما بعد:

فأتقدم بين يدي القارئ بهذا البحث الموجز حول موضوع: « **أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد**»، والذي قدم إلى الندوة التي عقدتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد حول رسالة المسجد، وقد طبعت الوزارة مشكورة بحوث الندوة ومنها هذا البحث، ولأن الحاجة ملحة إلى تعميمه، قام مركز الوسطية للاستشارات التربوية والتعليمية بإعادة طبعه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة النور آية: ٣٦.

(٢) جزء من حديث أبي الدرداء مرفوعاً أوله (**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً** ... الحديث) رواه أحمد (١٩٤/٥) والدارمي (٣٣٢) وأبو داود (٣٤٤١) وابن ماجه(٢٤٣).

(٣) رواه مسلم (٦٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تمهيد

كان المسجد في صدر الإسلام مع كونه مكان عبادة، داراً للعلم والفتوى والاجتماع والشورى، لكن في العصور المتأخرة اختلت مفاهيم كثير من الناس، بسبب الثقافات الوافدة، وقلة الفقه في الدين، وكثرة التعالم، والبعد عن مناهج العلماء، حول أمور كثيرة من أمور الدين، ومن أهمها:

١ - ما يتعلق بالمسجد ورسالته.

٢ - ما يتعلق بالعلماء وحقوقهم وأثرهم.

وقد علق في أذهان كثير من المسلمين اليوم أن المسجد إنما هو مكان الصلاة فحسب، وأي نشاط آخر يقام في المسجد فقد يكون محل تساؤل وربما يظن البعض أن ذلك من الأمور الحديثة، وهذا خطأ، فإن المسجد له شأنه العظيم في الإسلام، فكما أنه مكان للصلاة فهو كذلك مكان للتعليم والخطابة والوعظ والمحاضرات والدروس وملتقى تعقد فيه الاجتماعات والشورى وتوجيه الناس إلى كل ما يصلح أمورهم في دينهم ودنياهم.

وفي الآونة الأخيرة، ومع بواكير الصحوة الإسلامية المباركة، بدأ المسجد يستعيد شيئا من مكانته ورسالته، مما يستدعي ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع من قبل العلماء والمؤسسات المعنية وطلاب العلم عامة، والأئمة والخطباء والمؤذنين على وجه الخصوص.

وثمة أخطاء وشيء من التقصير لا يزال قائما بهذا الصدد، ولا أتوقع أن يتم علاجها إلا بتضافر الجهود من عدة أطراف منها:

١ - الجهات المعينة من قبل الدولة ممثلة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٢- المشايخ وطلاب العلم عموما.

٣- الأئمة والخطباء على وجه الخصوص.

٤- المجتمع ممثلا بالمصلين من أهل الرأي والمشورة.

٥- الإعلام بوسائله المتعددة.

وما يتعلق من هذه الأخطاء بموضوعنا له جانبان:

الأول: أخطاء في ممارسة دور المسجد واستثماره، ولا أطيل في هذه المسألة، لأن مساسها ببحثي أقل، إنما من أهمها:

١ - ضعف التنسيق بين المساجد في تنفيذ الأنشطة وتوزيعها.

٢- أحيانا يظهر ما لا يليق بالمسجد من الصور والرسوم، كصور الصلبان مثلا بقصد التحذير منها، أو صور الأحذية التي تشتمل على مخالفات، أو نشر بعض الأوراق التي ليست على المستوى اللائق علميا أو نحو ذلك.

٣- إتاحة الفرصة -أحياناً- لبعض العوام والجهلة والأحداث للتحكم في أمور المساجد، مما يعيق كثيرا من الفوائد المتوخاة، ويفوت فرصا على المصلين، أو يضايقهم، لذا ينبغي أن يكون كل مسجد تحت إشراف عالم أو طالب علم يدير شؤون المسجد.

الثاني: أخطاء فيما يتعلق بأثر العلماء في تحقيق رسالة المساجد، وهو موضوع البحث، وأهم هذه الأخطاء في نظري:

١- قيام أنشطة علمية ودعوية -أحيانا- في المساجد بعيدة عن توجيه المشايخ وطلاب العلم وإشرافهم المباشر.

وبعض ما يكون تحت إشرافهم قد يتم بطريقة التمرير غير المرضي.

٢- قد يتصدر الأنشطة في المساجد بعض الصغار قليلي العلم والفقه والتجربة، مما يؤدي إلى اجتهادات وممارسات خاطئة شرعا، أو غير لائقة ودون المستوى المطلوب، مما ينعكس أثرها على الناس سلبا.

وقد يقول قائل: هذا خطأ المشايخ وتقصيرهم، حيث لم ينزلوا إلى ساحة الأنشطة ويوجهوها بأنفسهم... ويُرشدوا أعمال الشباب.. وأقول: هذه دعوى قائمة فعلاً لكنها ليست على إطلاقها ولا تعمم على المشايخ.

وضدها كذلك يَرِد ما يقال: لماذا لا يذهب الشباب أنفسهم إلى المشايخ ويتلقون عنهم التوجيه والمشورة؟ فإن هذا هو الأصل واللائق شرعا.

وأرى أن أكثر الخلل والتقصير يتحمله الموجهون للشباب من طلاب العلم والدعاة، لأن لبعضهم أثراً في حجب الشباب عن المشايخ من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

لكن المسألة يحسمها في نظري الأصول الشرعية والآداب المرعية، وهي أن المشايخ هم الذين يُقصدون ويُسعى إليهم ويطلب منهم التوجيه، ويستشارون، ولا نتوقع منهم بمشاغلهم وسمتهم - أو أغلبهم- أن يلاحقوا الشباب في ميادين أنشطتهم، وليس هذا من

الطبيعي بل العكس هو الصحيح، فإنه يجب على المشتغلين بالدعوة والعلم أن يلازموا المشايخ ويتلقوا منهم العلم والأدب والمشورة والتوجيه وأن يُرَبُّوا الشباب على ذلك.

٣- أن كثيرا من الأنشطة التي تقام في المساجد وبرامجها ومتابعة تنفيذها لا تعرض على المشايخ، ولا يشرفون عليها مباشرة، إلا أحيانا إذا حدثت مشكلات، فإن الناس حينئذ قد يفزعون للمشايخ كعادتهم.. وإن كان ثمة إشراف لهم فبطريقة التمرير، وهذا كسابقه في طريقة المعالجة.

٤- أن كثيرا من المشايخ – فعلا – ربما لم يفطنوا ويدركوا كمال الإدراك أهمية دور المساجد بالقدر الكافي، وبعضهم قد لا يتصور الأسلوب التفصيلي لكثير من النشاطات التي يمكن أن تحقق من خلال المسجد، لأن غالب هذه الأمور مستحدثة لا عهد لهم بها.

وهذا يمكن معالجته بالتصاق الشباب وطلاب العلم النشطين بالمشايخ، وإطلاعهم على تفاصيل البرامج المقترحة.

كما أن الوزارة تتحمل جزءا كبيرا من هذه المسؤولية كذلك، ونتطلع منها أن تقوم بها.

والخلاصة :

أن من أبرز السلبيات التي ترتبت عن عدم تصدير المشايخ والعلماء ، أو تخلف بعضهم عن التوجيه المباشر للشباب وطلاب العلم والعاملين في الدعوة والحسبة أن تتلمذ الشباب على من هم دونهم ، وتتلمذ بعضهم على بعض ، أو تتلمذهم على الكتب والأشرطة والوسائل الأخرى ، بل ربما تلقى بعضهم عن أهل الأهواء وعن حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام ، فاتخذوا رؤساء جهالا ، وكثر بينهم التعالم والغرور والقدح في الأئمة والمشايخ ، وقَلَّ الفقه في الدين ، وقَلَّ الأدب ، وفقد عند البعض سمت أهل العلم رغم كثرة الثقافة والمعلومات. ولن يتم استدراك الأمر إلا بتصدير العلماء ومن خلال المسجد أولاً ثم بالوسائل الأخرى ، والله أعلم.



العلماء ومنزلتهم وخصائصهم

يحسُن بين يدي هذا الموضوع (**أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد**) أن نحرر المفهوم الشرعي للعلماء، وأن نبين منزلتهم الشرعية، وأن نذكر خصائصهم وسماتهم، وكذلك مفهوم المسجد ورسالته، حيث اضطربت مفاهيم الناس اليوم، وانحرفت في أذهان كثير منهم المفاهيم الشرعية.

وقد ظهرت بين الناس اليوم نزعات أهواء بدأت تحول بين الأمة وبين علمائها ومشايخها وتنزع الثقة بالمشايخ، وباعتبارهم الشرعي، وأثرهم الاجتماعي، بقصد وبغير قصد، وتشكك الجيل في جدارتهم وقيادتهم وفي ريادتهم وولايتهم ومرجعيتهم في الأمة، وهذه النزعات بعضها عن منطلقات حزبية أو بدعية، أو مفاهيم خاطئة، والبعض الآخر عن جهل بالحقوق الشرعية للعلماء، وقِلة فقه في الدين وقواعد الشرع ومقاصده، ولا سيما من أولئك المثقفين والشباب الذين تربوا بعيدا عن مجالس العلماء ومحاضنهم، فإن هذا الجفاء أحدث الوحشة والفصام، وإسقاط مرجعية العلماء.

المفهوم الشرعي للعلماء

العلماء: هم الذين يعرفون شرع الله ويفقهونه ويعملون به، المتبعون لكتاب الله وسنة -رسوله ﷺ- والسلف الصالح على هدى وبصيرة.

خصائص العلماء وسماتهم

لقد نوه الله تعالى بالعلماء، وبيّن الرسول ﷺ منزلتهم، فالعلماء:

١- قد قرنهم الله تعالى بالملائكة في الشهادة بالتوحيد، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ (١).

٢- وبين أن العلماء هم أخشى الناس لله، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (٢).

٣- وجعلهم مرجع الأمة، فقال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (٤).

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨.

(٢) سورة فاطر آية : ٢٨.

(٣) سورة النحل آية : ٤٣.

(٤) سورة النساء آية : ٨٣.

٤-وجعلهم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم، فقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[(١)]، قال ابن عباس[(٢)]: جابر بن عبد الله [(٣)] وأبو العالية [(٤)] ومجاهد [(٥)] وعطاء [(٦)] والحسن البصري [(٧)] وابن نجيح [(٨)] والضحاك [(٩)] هم أولو العلم والفقه.

(١) سورة النساء آية : ٥٩.

(٢) رواه الطبري (٩٨٦٧).

(٣) رواه الطبري(٩٨٦٨) وزاد السيوطي في الدرر نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، راجع فتح القدير للشوكاني(١٦٨/٢).

(٤) رواه الطبري (٩٨٧٣)وزاد نسبته لابن أبي شيبة الشوكاني في فتح القدير (١٦٨/٢).

(٥) رواه الطبري(٩٨٦٣) وزاد السيوطي في الدر لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، راجع فتح القدير للشوكاني(١٦٨/٢).

(٦) رواه الطبري(٩٨٧٠).

(٧) رواه الطبري(٩٨٧١).

(٨) رواه الطبري(٩٨٦٥).

(٩) نسبه إليه البغوي في تفسيره (٢٣٩/٢).

٥- وجعلهم الأئمة الذين يُقتدى بهم، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [(١)]، وهم العلماء من بني إسرائيل وغيرهم.

٦- وقد رفعهم الله تعالى بالعلم درجات، فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [(٢)].

٧- وذكر النبي ﷺ أن (**العلماء هم ورثة الأنبياء**) [(٣)]، كما صح في الحديث.

٨- وهم أهل الحكمة والفقه في الدين ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [(٤)].

٩-وقد أراد الله بهم خيرًا، وميّزهم بالخيرية حين فقهوا في الدين، كما قال النبي ﷺ في الصحيح: (**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**)[(٥)].

---

(١) سورة السجدة آية: ٢٤.

(٢) سورة المجادلة آية: ١١.

(٣) جزء من حديث أبي الدرداء مرفوعاً أوله: (**من سلك طريقاً يبتغي فيه علما.. الحديث**) رواه أحمد (١٩٤/٥)، والدرامي (٣٣٢)، وأبو داود(٣٤٤١)، وابن ماجه(٢٢٣).

(٤) سورة البقرة آية: ٢٦٩.

(٥) جزء من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مرفوعاً رواه البخاري (٢٧/١)، مسلم الإمارة (٩٥/٣)، وأحمد (١٧٠٥٥) والدارمي (٢٢٣).

١٠-وفضل الله العلماء على العبّاد المنقطعين لعبادة الله تعالى، فقد أخبر النبي ﷺ أن(**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**)[١].

ومن الفضائل أيضا قوله ﷺ: (**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**) ثم قال: (**إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرضيين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير..**)[٢].

---

(١) جزء من حديث أبي الدرداء مرفوعاً رواه أحمد (٢٢٠٥٦)، والدارمي (٣٣٢) وأبو داود (١/ ٣٤) ،وأحمد (٢٢٠٥٨) و الترمذي(٢٤٨٢).

وجاء في حديث معاذ رواه أبو نعيم في الحلية ، وضعف هذا الطريق الألباني في ضعيف الجامع.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٥) وحسّنه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٨٥٩).

المسجد ورسالته

المسجد هو مكان الصلاة للجماعة وللجمعة، وكل ما اتخذه الناس مصلى فهو مسجد؛ لأن النبي ﷺ قال: **(وجُعلَت لي الأرض مسجدا وطهورا)** [1]، وإن كان مسمى المسجد صار أخص من سائر الأرض.

والمسجد في الإسلام، وكما كان في عهد النبي ﷺ ليس مكان إقامة الصلاة فحسب، بل كان منطلق أنشطة كثيرة... فكان النبي ﷺ يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود، ويقيم فيه حلق الذكر والعلم والإعلام، ومنطلق الدعوة والبعوث، ويُبرم فيه كل أمر ذي بال في السلم والحرب، وأول عمل ذي بال بدأه النبي ﷺ حين قدم المدينة مهاجرا أن شرع في بناء المسجد [2].

---

(١) جزء من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً أوله: (**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ..**) رواه ابن أبي شيبة (٧٧٥٥)، وأحمد (١٢٥/٥)، وأبو داود (٢٨٩).

(٢) وذلك في قصة بناء المسجد النبوي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه رواه أحمد (١٢٢٠٢) و(١٢٨٨١) والبخاري (١/١١٧) ومسلم (١٨٨/٥) وأبو داود (٣٥٢) وابن ماجه (٧٣٢) والنسائي (٢/٣٩) وابن خزيمة(٧٨٨) .

وكـان الـنبي ﷺ إذا قـدم مـن سـفر بـدأ بالمسجد[(١)] كمـا ورد في الصحيح.

أما الآن ومع تطور الزمن وتغير أساليب الحياة فقد تحولت كثير من وظائف المسجد إلى مؤسسات أخرى وهيئات ودوائر وجمعيات... لكن لا يعني ذلك أن المسجد انتهت رسالته، أو لم يعد له دوره وتأثيره، بل بقي الكثير. ولو لم يكن للمسجد إلا إقامة الصلاة وما يقام فيه من الحلقات لكان ذلك أمرا عظيما، كيف والصلاة هي ركن الإسلام وعمود الدين، وأعظم شعائر الإسلام الطاهرة.

ومع ذلك لا يزال المسجد مهيأ للقيام بأدوار عظيمة في التعليم والتربية والوعظ والتوجيه والإرشاد، والتكافل الاجتماعي، والحسبة والشورى.

وفي أيامنا -وبعد النهضة الشاملة في هذه البلاد المباركة- نرى المساجد بدأت -بحمد الله- تستعيد شيئًا من مكانتها، سواء فيما يتعلق

---

(١) وقد ورد ذلك من حديث كعب بن مالك في قصة توبته و توبة صاحبيه رواه أحمد (١٥٨٧٤)، (١٥٨٨٢)، والبخاري(٢٧٥٧)، ومسلم (٧١١٤) وأبو داود (٢٢٠٢) و(٣٣١٧).

بنائها والعناية بها، حيث لا تزال حكومة خادم الحرمين الشريفين وفقها الله، ممثلة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد تُولي المساجد عناية طيبة.

وكذلك أهل الخير والإحسان لا يزالون بحمد الله يبذلون بنفوس سخية في سبيل عمارة المساجد وخدمتها.

وبدأت المساجد كذلك تأخذ نصيبها من قبل سائر المواطنين الصالحين، فهي تشهد -بحمد الله- نشاطًا ملحوظًا في تحفيظ القرآن وحلق العلم والذكر والوعظ والإرشاد والمحاضرات والندوات والدروس العلمية والحلقات والدورات والمكتبات وغيرها.

لكن هذه الأنشطة تحتاج إلى مزيد من العناية والتثبيت والتنسيق والتخطيط والتنظيم وحسن الإعداد وجودة الأداء وتبادل الخبرات واستخدام التقنية والوسائل الحديثة بالضوابط الشرعية.كما أنها بحاجة إلى الإشراف المباشر عليها من قبل المشايخ وطلاب العلم، وتركز المسؤولية في ذلك -فيما أرى- على الأئمة والخطباء والمؤذنين بالدرجة الأولى.

وقد قامت نماذج جيدة في نشاط المسجد في كثير من المدن في المملكة يجب أن يفاد منها.. خاصة في المساجد ذات النشاط الناجح

والمرافق والخدمات الكاملة فإنها يجب أن يستفيد منها سائر الأئمة والخطباء.

فالخلاصة: المساجد أهم وسيلة، وأسلم مكان، وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء وطلاب العلم لتوجيه الناس، وتعليمهم وتفقيههم، وحل مشكلاتهم، ولذا كان المسجد منذ عهد رسول الله ﷺ والقرون الفاضلة هو المكان الذي يصدر عنه كل أمر ذي بال يهم المسلمين في دينهم ودنياهم.

وكان العلماء والولاة هم الذين يتصدرون الأمة، من خلال المسجد.



من المعنيون بتحقيق رسالة المسجد؟

إنّ مما يجب التسليم به سلفا أن العلماء قبل غيرهم هم المعنيون برسالة المسجد، ثم طلابهم الأمثل فالأمثل لاسيما الخطباء، وذلك على النحو التالي:

١- العلماء والمشايخ الكبار:

لا شك أن العلماء هم أولى وأول من يقوم بمهام رسالة المسجد، لكن لا يعني ذلك أن أشخاص العلماء هم المنفذون لكل عمل يتعلق بذلك، بل الأمر الطبيعي والوضع السليم أن العلماء يقومون بدورهم في تبني الأنشطة والإشراف عليها، ويوجهون من دونهم، وتحت نظر العلماء وأمرهم وتوجيههم وقيادتهم وريادتهم، يقوم طلاب العلم والمعلمون والشباب، الموثوق بهم بتحقيق الرسالة الشرعية للمسجد إعداداً وتنفيذاً.

٢- القضاة، وهم غالبا من العلماء:

ونظرًا لأنه-في هذه البلاد بحمد الله-لا تخلو مدينة أو قرية كبيرة من قاض أو أكثر، فإنه يجب أن يتولى القاضي مهامه الشرعية من تعليم الناس أصول دينهم ومهمات الأحكام والفتوى، والدروس الشرعية، وتوجيه الناس، والإصلاح بينهم، والإسهام في معالجة

مشكلاتهم الاجتماعية والتنسيق مع الجهات المسؤولة في البلد لدفع كل ما هو من مصالح البلد في الدين والدنيا. وسائر هذه الأنشطة ينبغي أن ينبثق عن المسجد ما أمكن ذلك.

وهذا -أعني الإفادة من القضاة في نشر العلم والفتوى والدعوة- مما ينبغي أن تعنى به الوزارة بالتنسيق مع وزارة العدل ودار الإفتاء.

٣- خريجو الكليات والمعاهد الشرعية:

وهم -بحمد الله في هذه البلاد- كثيرون ومتوافرون في أنحاء كثيرة لا تكاد تخلو منهم قرية أو هجرة، فضلا عن المدن، وهم ما بين أئمة وقضاة ومعلمين وكتاب عدل، وموظفين وخلافهم، وفيهم ومنهم علماء وطلاب علم كبار، وسائرهم في العموم يخضعون لتوجيه العلماء والمشايخ. أو كذلك يجب أن يكونوا.

لذا أرى أن من مهام علماء هذه البلاد أن يوجهوا هذه الفئات ويفيدوا من طاقاتهم في بعث رسالة المسجد في إرشاد الناس وتوجيههم، وتعليمهم أمور دينهم، ومساعدتهم في حل مشكلاتهم، ونحو ذلك.

٤- سائر طلاب العلم وشباب الدعوة:

وأعني بهم الشباب الذين يتعلمون ويتربون على أيدي المشايخ وينهلون من علمهم وينهجون نهجهم، فهؤلاء ثروة عظيمة تجب العناية بها وتعليمها وتوجيهها وتسخير طاقاتها فيما ينفع الأمة ويخدم المجتمع، وينمي الخير بين الناس، وفيما يسهم في نهضة البلاد على الثوابت الشرعية.

نعم من مهام العلماء الإفادة من طاقات الشباب في تحقيق رسالة المسجد، وليس من الطبيعي ولا من المُرضِي أن تكون أعمال الشباب وطاقاتهم في الدعوة والتربية والحسبة بمعزل عن المشايخ، وإذا حدث ذلك -لا قدر الله- أعني الفصام بين المشايخ والشباب فسيؤدي ذلك إلى نشوء الأهواء والتعالم والفتن والافتراق، وهذه هي الحالقة، وهي الكارثة. نسأل الله أن يقينا شرها.

وكان السلف لا يسمحون لغير العلماء وطلاب العلم الثقات بالتصدر لنشر العلم أو الوعظ والإرشاد، وكانوا يسمون أولئك الذين يعظون الناس بالحكايات والأقاصيص التي لا أصل لها ويتكلمون بغير علم ولا فقه: (القصَّاص) وكانوا يخرجونهم من المساجد، ولا

يأذنون لهم بالكلام فيها، كما كان يفعل عبد الله بن عمر[١] وعمر ابن عبد العزيز[٢] وغيرهما.

هذا لا يعني عدم السماح لطالب العلم الموثوق بدينه وعلمه بالإرشاد والوعظ، لكن لذلك شروطه وضوابطه التي يعرفها أهل العلم.



(١) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٩ ولفظه" عند مجاهد قال: دخل قاص فجلس قريباً من ابن عمر فقال له: قم فأبى أن يتقدم فأرسل إليه شرطياً فأقامه".

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ١٠ ولفظه: "قال الضحاك: رأيت عمر ابن عبد العزيز يسجن القصاص ومن يجلس إليهم".

أهم الأمور التي يمكن أن يحققها العلماء من خلال المسجد

إن أهم الأمور التي يمكن -حاليًا- أن يحققها العلماء وطلاب العلم وأن يؤدوها للمجتمع والأمة من خلال المسجد ما يلي:

١ - الإمامة وما يتبعها ويلحق بها.

٢- الخطابة في الجمعة والأعياد ونحوها.

٣- الفتاوى والمشورات الشرعية.

٤- الدروس والحِلَق والدورات.

٥- المحاضرات والندوات.

٦- الكلمات والتوجيهات والمواعظ.

٧- سائر أعمال الحسبة الأخرى التي يمكن أن تتحقق من خلال المسجد حسب نظر المشايخ مثل مناقشة شؤون الأحياء ومعالجة المشكلات الأسرية والاجتماعية.

١- الإمامة

المقصود بالإمامة هنا: إمامة المصلين في المسجد.

والإمامة شأنها عظيم في الإسلام، ولست أقصد الإمامة العظمى (إمامة السلطان) لأن هذا ليس مجالها. إنما كان الحديث عن إمامة الصلاة.

فهي من أعظم مهام العلماء، وأهم الوسائل التي من خلالها يظهر أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد.

والإمامة كما أنها تعني تقدم المصلين في الصلاة فهي كذلك تعني تبعا لذلك تعليمهم وإرشادهم وتفقد أحوالهم، وتوجيههم إلى أن يكونوا على المستوى اللائق في دينهم ودنياهم.

لذا فإن من أهم الضمانات في تحقيق رسالة المسجد أن يتولى العلماء والمشايخ إمامة المساجد ثم الأمثل فالأمثل.. وإذا أهمل العلماء هذا الأمر تصدر للإمامة من يقل فقههم وعلمهم من العوام وأشباه العوام، أو ذوي النزعات غير المرضيَّة، مما يؤدي إلى ظهور نزعات الأهواء والاجتهادات الخاطئة، ونحو ذلك.

٢- الخطابة

وأعني بالخطابة هنا: خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء، وهي من شعائر الدين، وقد حدد الشرع أركانها وشروطها، ولست بصدد التفصيل في ذلك.

لكن يهمني في مثل هذا البحث الإشارة إلى أن خطب الجمعة أهم واجبات العلماء والمشايخ، وكبار طلاب العلم، وهم -بحمد الله- متوافرون في بلادنا، وأكثرهم قائم بواجبه فعلا.. لكن ليس ذلك بالقدر الكافي حيث نرى -وفي القرى والأرياف بخاصة- أنه قد يتولى الخطابة من لا تتوفر فيه الأهلية مع وجود العالم أو طالب العلم الأجدر. خاصة القضاة وخريجو العلوم الشرعية، وهذه من الظواهر التي يجب أن يُعنى بها العلماء مع الجهات المسؤولة.

٣- الفتوى

الفتوى من أعظم مهام العلماء؛ لأنهم أهل الذكر، والله تعالى يقول: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

---

(١) سورة النحل آية : ٤٣.

وأجدر مكان تصدر منه الفتوى: المسجد؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون الرسول ﷺ وهو في المسجد أكثر من سؤالهم له فيما سواه.

كما أن الفتوى في المسجد تعم بها الفائدة لحضور طائفة من المصلين غالبا. ولذا درج المسلمون قديمًا وحديثا على اعتبار المسجد أفضل بقعة تنطلق منها الفتوى.

وهي اليوم أعم فائدة، حيث توفرت وسائل الإعلام والإبلاغ التي تتجاوز المسجد عبر مكبرات الصوت والأشرطة ونحوها.

والفتوى يجب أن يتصدى لها العلماء وطلاب العلم المتمكنون، ولا يترك الناس للأحداث والمتعالمين، وقليلي الفقه في الدين، وربما أهل الأهواء أحيانا.

لذا يجب أن يُعنى أئمة المساجد بهذه المسألة عناية تامة، كأن يقوموا بالتنسيق مع المشايخ وأهل الفتوى بجلب المفتين وعقد جلسات الفتوى والاستشارات الشرعية في المساجد بشكل منتظم؛ لأنه كثيرًا ما يتعرض للفتوى -عبر منابر المساجد والكلمات فيها أو الوعظ- من ليس بأهل الفتوى فيفطن الناس، أو يوقعهم في الحرج.

٤- الدروس

وأعني بها تلكم الحلقات العلمية التي تقام في المساجد، يتعلم فيها الناس أصول الدين وفروعه ومتطلباته، في العقيدة والأحكام والتفسير والحديث واللغة وسائر العلوم الشرعية وما يلحق بها.

والدروس في نظري هي أهم المجالات وأعظمها فائدة، كما أنها الوسيلة الأنفع والأجدى والأبقى، وقد أثبتت التجارب عبر تاريخ الإسلام الطويل أن الدروس العلمية الشرعية، هي الطريقة التربوية الأسلم في نشر الدين وتعليم الناس، وتفقيههم في الدين، وكانت أعظم وسائل العلم والتعليم والتربية عند السلف الصالح، ولا تزال أفضل الوسائل لذلك.

وعلماء الأمة وطلابهم الكبار هم معلموها، ويجب أن يتصدروا الدروس الشرعية في كل مكان، والدروس في المساجد بخاصة.

ولدروس العلماء في المساجد خصائص تميزها، منها:

١- أنه يتحقق فيها معنى مجالس الذكر أكثر من غيرها، حين تكون في بيت من بيوت الله (وهو المسجد)، وتحضرها الملائكة، ويباهي الله بأهلها ملائكته.

٢- أن المتلقي في المسجد يشعر بشيء من الطمأنينة والسكينة والهدوء والسمت أكثر من أي مكان آخر.

٣- أن الناس في المساجد يكونون أكثر التزاما للأدب والإنصات واحترام المكان والحضور.

٤- جلوس المتلقي في المسجد يجعله أكثر استعدادًا لقبول العلم حين يشعر أنه في مكان الصلاة، والأصل أن يكون على طهارة ويحافظ على ذلك.

٥- دروس المساجد مباركة في حفاظها على ثوابت الأمة وهويتها.

وفي الجملة فإن الدروس هي التي تربي طلاب العلم؛ لأن الدروس تتسم غالبا بالاستمرارية، والأصل في طلاب الدروس الملازمة للشيخ المدرِّس، وتلقي العلم عنه مقرونًا بالعمل والأدب والسمت، إذ العالم قدوة في علمه وعمله.

أصناف الدروس في المساجد :

والدروس التي يحتاجها الناس اليوم أصناف:

منها الدروس العلمية المركزة:

وهي تلكم الدروس التي ينبغي أن يتصدرها المشايخ الكبار وطلاب العلم المتمكنون، ومن أهم مواصفاتها:

- أن تكون في أحد العلوم الشرعية أو ما يخدمها.
- وأن تكون على يد شيخ أو طالب علم متمكن فيما يدرسه.
- أن تكون على سمت العلماء وأدبهم.
- أن يكون الطلاب ممن تتوفر فيهم صفات المتلقي من حيث الاستقامة والأهلية والأدب.
- أن يأخذ الدرس صفة الثبات والاستمرارية.
- أن يتلقى الدارس العلم بالتدرج حسب توجيه شيخه.

وهذه الدروس هي الأنفع والأبقى، والتي يمكن للشيخ أن يربي تلاميذه فيها على عينه ويتأثرون بسمته ويجيزهم باطمئنان.

ومنها الدروس الخفيفة:

وهذه الدروس الموجزة المؤقتة التي يلقيها الشيخ في زمن محدود، كأسبوع، أو شهر، أو في حلقة ذات زمن محدد قصير، كالحلقات والدروس التي تلقى في الدورات أو المواسم الثقافية، أو المراكز الصيفية ونحوها.

وهذه الدروس طيبة ومفيدة، لكنها لا تخرج طلاب العلم، كما أنه لا يتأتى فيها للشيخ أن يتعرف على تلاميذه، ولا يتابعهم ويتأكد من مستوياتهم فضلًا عن أن يجيزهم، فهي أشبه بدورات التوعية والتثقيف.

الدروس الرافدة:

وهي تلكم الدروس التي يقوم بها طلاب العلم الصغار في تعليم العلوم الشرعية الأولية، والتي لا تحتاج إلى التعمق في العلم، أو التبحر في العقائد والأحكام، والأفضل أن تكون هذه الدروس في المساجد، وتحت إشراف العلماء وطلاب العلم الكبار ورعايتهم ومتابعتهم، لئلا تنحرف بهم السُّبُل يمينا أو شمالا، فالصغار والأحداث من طلاب العلم إذا تركوا يعلمون الآخرين دون إشراف ولا توجيه ربما يصيبهم التعالم والغرور، وربما يشطح أحدهم وتستهويه الأهواء دون أن يشعر.

حِلَق تحفيظ القرآن:

وهذه مهمتها الأساسية تحفيظ القرآن وإقراؤه للصغار والكبار، وقد تتولى تعليم الدارسين شيئا من مهمات الدين في العقيدة والأحكام بالإضافة إلى مهمتها التربوية والأخلاقية من خلال ذلك، ومكانها الطبيعي المسجد، ولا يلزم أن يتولى العالم بنفسه هذه المهمة وحده، بل لا بد أن يقوم بها كل من يجيدها ولو لم يكن عالما.

لكن يجب أن يرعاها ويشرف عليها العلماء وكبار طلاب العلم من أئمة المساجد وغيرهم، وأن يتأكدوا من سلامة نهجها علميا وعقديا لئلا تكون بؤرة للبدع والأهواء.

نحمد الله تعالى أن انتشرت حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد في كل البلاد وصارت أفضل المحاضن لحفظ أوقات الشباب وتربيتهم على النهج السليم وتحصينهم من تيارات الغلو والانفلات .



٥- المحاضرات والندوات

المحاضرات والندوات في المساجد تكون -في نظري- في المقام الثاني بعد الدروس، وهي نمط من الخطابة وترادفها، وأفضل مكان للمحاضرات والندوات هو المسجد، كما أن العالم هو أولى من يقوم بالمحاضرات في المساجد.

وفي عصرنا صار للمحاضرات شأن كبير، وكثر الاعتماد عليها في إيصال المعلومة للسامعين، وهيأت الجامعات والهيئات والمؤسسات والمكتبات قاعات مخصصة للمحاضرات، وقد تضاهي المساجد في بعض البلدان وربما تسببت في تعطيل كثير من المساجد في أكثر البلاد الإسلامية.

وعلى الرغم من أنه في الآونة الأخيرة بدأ يعود للمسجد شيء من الاعتبار، فإنه لا يزال الأمر يحتاج إلى مزيد من الاهتمام من العلماء بصرف أنظار الناس إلى المساجد وإعادة الاعتبار لها، وذلك بجعلها مركزًا لنشر العلم والتوجيه والوعظ والإرشاد ومنطلقا للأنشطة العلمية والاجتماعية والدعوية بأرقى الأساليب والوسائل المباحة.



٦- الكلمات والتوجيهات والمواعظ

وأعني بها ما يلقيه العالم وطالب العلم على جماعة المسجد من توجيهات ومواعظ موجزة دون المحاضرة والخطبة، يتناول فيها ما يحتاجه المصلون وجماعة الحي في أمورهم الشرعية والاجتماعية وغيرها. وأهمها: تعليم أصول الدين، والأحكام، والآداب، والوعظ، والتنبيه على الأخطاء وبعض جوانب التقصير، ومعالجة المشكلات الاجتماعية، والتربوية ونحو ذلك.

وكما أن منطلق هذه التوجيهات هو المسجد، فكذلك يحسن أن تكون بعد الصلوات، أو قبيل الإقامة، حيث يجتمع أكبر عدد ممكن من المصلين (جماعة المسجد) ويتولى ذلك أفقه القوم، سواء كان هو الإمام أو أحد المأمومين من العلماء وطلاب العلم.

وكان سلفنا الصالح يحرصون على هذه الطريقة، وكان الناس في هذا البلد (المملكة العربية السعودية) يفعلون ذلك إلى وقت قريب.

فكان الإمام أو أحد المشايخ وطلاب العلم الحاضرين يتعهد المصلين بأفرادهم ومجموعهم يقرؤهم القدر الضروري من القرآن والحديث، وأركان الإسلام والإيمان، والأصول الثلاثة والمسائل الأربع، وسائر ضروريات الدين من أحكام الصلاة وشروطها

وواجباتها والطهارة، والصيام، والزكاة، والحج والسنن والآداب والسلوك.

وكان ذلك يتم بشكل دوري (يومي، أو أسبوعي، أو شهري) بحسب الحاجة والإمكان.

ويتم ذلك بطريقتين:

الأولى: أن يلقنهم الإمام ذلك بنفسه.

والثانية: أن يكلف أحد المصلين بذلك.

وأرى أن هذا من أهم أدوار المساجد التي حافظ بها إسلامنا على ثوابت الدين وهوية المجتمع التي يجب أن يحييها العلماء وطلاب العلم، على قدر حال جماعة المسجد ومستواهم، لكن يحسن أن تتم الثانية بطريقة لا تنفر ولا تحرج بعض المصلين، الذين يشعرون بشيء من الخجل أو الحرج، بل تتم بترتيب وتنسيق مناسب تعم به الفائدة ولا يؤدي إلى انقطاع البعض أو تهربهم.

فلا يكلف الإمام أو الشيخ في ذلك إلا من يتوسم فيهم المقدرة والاستعداد، والباقون يستفيدون مما يسمعون.

هذا إذا تم عمل هذه الأمور من خلال التكليف والتلقين.

وأما إذا قام بالمهمة الشيخ أو الإمام فالأمر سهل شريطة عدم الإطالة، حيثما لا تزيد الكلمة عن عشر دقائق وإلا فتصبح مع التكرار مملولة.

وعلى أي الأحوال فإن عموم الفائدة ونجاح العمل مرتبط بالأسلوب والطريقة التي ينهجها من يقوم بهذه المهمة. فالحرص على وسائل الجذب، وتطوير الأساليب وتنويعها من عوامل نجاح العمل.

الخطاب الوعظي في المساجد :

مما يفتقر إليه مجتمعنا اليوم ويحتاجه سائر الناس -حتى طلاب العلم- الخطاب الوعظي، فإن قلوب الناس رانت عليها القسوة، ورغم كثرة مصادر التلقي والعلم والثقافة إلا أن الجانب الوعظي لا يزال ضعيفًا. وهذا مما ينبغي أن يُعنى به المشايخ وسائر الأئمة والخطباء، والدعاة والمرشدون، وفق الله الجميع لما فيه الخير.



٧- أعمال الحسبة الأخرى

مما يحسن أن ينطلق من المسجد وبإشراف العلماء وتوجيههم: أعمال الحسبة والأعمال الخيرية، وأعمال البر مثل: بث روح التعاون والتكافل والتراحم في جماعة المسجد وتوجيه المقصِّرين في الصلاة وحضور الجماعة، وتفقد أحوال الجماعة وأهل الحي في سائر الأمور الشرعية، والأخلاقية، والمادية، والحرص على ما يجمع الشمل، وينشر الفضيلة ويحارب الرذيلة، وتدريب طلاب العلم على الكلمات والوعظ والخطابة، والفتوى وأعمال الحسبة بإشراف مباشر من المشايخ.

ولأن هذه الأمور من مقاصد الشرع وتتعلق بمصالح الناس، وتمس حرياتهم، لذا يجب أن يتولاها أهل العلم والحلم والفقه في الدين، وممن له اعتباره واحترامه بين المجتمع من العلماء والصالحين المشهود لهم.



اقتراحات عامة

إضافة إلى الاقتراحات التي تضمنها البحث وأشرت إليها في ثنايا البحث هناك اقتراحات عامة، منها:

١- وضع خطة استراتيجية مدروسة لاستقطاب جميع العلماء وطلاب العلم والقضاة ونحوهم من المؤهلين حسب نظر المشايخ، للتدريس وسائر الأنشطة المناسبة في المساجد في المدن والقرى والأرياف والبادية، ويقوم بتنفيذها لجان محلية تتكون من المشايخ وطلاب العلم والأئمة والخطباء.

٢- وضع برنامج لزيارة المشايخ الكبار وطلاب العلم للمناطق المحتاجة بشكل دوري منتظم وبالتناوب. تتفاوت مددها من عدة أشهر إلى أسبوع أو يوم في الشهر أو يوم في الأسبوع. والاستمرار في ذلك بمتابعة قوية وجادّة.

٣- وضع دورات مستمرة للأئمة والخطباء لهذا الغرض، أعني الإشراف على الأنشطة وأداء الدروس والكلمات التوجيهية والمحاضرات والندوات وسائر الأنشطة.

٤-أن تقوم لهذا الغرض مؤسسات ومراكز بحوث تساند الدوائر الحكومية والوزارات لتحقيق الأهداف المنشودة .

هذا وأسأل الله أن يحفظ لهذه البلاد دينها وأمنها ، وأن يوفق ولاة الأمور والعلماء فيها لكل ما فيه صالح مجتمعهم في دينهم ودنياهم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.



الفهرس

الموضوع	الصفحة